الاغتيال الثاني للسادات

الفصل السادس

السادات رجل السلام

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

« فى السلام الأبناء يدفنون آباءهم . أما فى الحرب فالآباء يدفنون أبناءهم »

« كروزوس »

كان قرار مصر الذي أعلنه الرئيس الراحل محمد أنور السادات بطرح مبادرة السلام ، ثم زيارته التاريخية للقدس محل هجوم ونقد العرب كما تعرضوا للسادات بالتجريح والإهانة ، وأعتقد أن من سوء حظ الحكام العرب الذين رفضوا المبادرة أنهم عاشوا بعد ذلك ليروا سوء سياستهم وبعد نظر الرئيس السادات فسيناء عادت حتى آخر شبر فيها إلى السيادة المصرية Egyptian Sovereignity بينما مازالت باقى الأراضى العربية التى رفض أصحابها الوقوف إلى جانب مصر واتهموا رئيسها بالخائن محتلة حتى يومنا هذا ، وجاءوا بعد ذلك يستجدون السلام من إسرائيل فى ظروف أصعب وتحت شروط أسوأ بعد تآكل القضية ليرسخ العرب مقولة أنهم « شعب الفرص الضائعة » ، لقد أخذ السادات يستثمر ثمار حرب أكتوبر بذكاء شديد بينما اقتصر دور العرب على المعارضة وفقط . إن مصر حصدت ثمار الاتجاه العقلانى فى سياستها بينما لم يجن العرب شيئا من سياستهم المعتمدة على الشعارات العاطفية والمزايدات والمهاترات والخطب الحماسية ورغم كل ذلك مازالت خفافيش الظلام التى يخيفها ضوء الحقيقة تنهش فى شخص الرئيس السادات وتتهمه بالعمالة والخيانة ، لقد غامر السادات بمستقبله السياسى وقبل اتفاقية السلام من أجل استرجاع الأرض ودفع حياته ثمنا لاستشرافه المستقبل ، ماذا لو جارى السادات العرب وظل على موقفهم المتعنت ؟ هل كانت ستعود لنا سيناء كما عادت الجولان لسوريا أو غزة والقدس للفلسطينيين ؟! بل كنا سننتقل من قمة عربية إلى أخرى، ومن مفاوضات إلى مفاوضات كما يجرى حالياً مع القضية الفلسطينية ؟ هل كان التاريخ ليغفر للسادات لو صارت سيناء عبارة عن

مستوطنات وتحول الجيش والشعب المصرى إلى فصائل للمقاومة ؟ لقد حفظ السادات للشعب المصرى كرامته وهيبته التاريخية . إننى أستطيع أن أقول مطمئناً وبغير تناقض أن السادات يؤمن أنه لا يمكن أن يكون بيننا وبين إسرائيل سلام دائم ولكنه كان الحل الأمثل وقتها لاستعادة الأرض والتقاط الأنفاس وإعادة بناء وإعمار البلد ، حتى وإن ادعى السادات نفسه أمام العالم بأنه سلام دائم عادل شامل ؛ ولذا يمكن أن نطلق عليها هدنة ، ولذلك لم يعارض السادات أن يرضى غرور إسرائيل وأن يوهمهم بالمقابل ويوقع على بنود معاهدة السلام التى تتضمن الاعتراف بهم وبحقهم فى الوجود ، ولم يتحقق الإسرائيليون من هذا الوهم إلا بعد ذلك حينما قال بيجن فى أيامه الأخيرة متحسراً : « لقد أعطانا السادات ورقة .. وأعطيناه سيناء » ! .لقد قدمت سياسية السادات سيناء كاملة للشعب المصرى فماذا قدمت سياسية الحكام العرب المعارضين لشعبهم ؟! .

وثبات سريعة فى سياسة الخطوة خطوة :

كانت حرب أكتوبر قد أدت مهمتها الاستراتيجية بخلق واقع جديد يفرض خروج أزمة الشرق الأوسط من حالة الجمود والسكون وفتح طريق السلام بالقوة لحل النزاع العربى الإسرائيلى بعد إهدار الحرب للنظريات العدوانية الإسرائيلية وهدم أركان نظرية الأمن الإسرائيلى ، وأن السلام هو السبيل المشروع والوحيد لإسرائيل لإنهاء صراعها مع العرب بعد أن أظهرت حرب ٧٣ فداحة الثمن التى ستدفعه إسرائيل باستمرار عدائها واحتلالها للأراضى العربية المحتلة ، وبالتالى فكما أسلفنا من قبل لم تكن الحرب فى حد ذاتها هدفاً ، ولكنها كانت أداة لا بديل عنها لتحقيق هدف الأمة العربية الذى استنزف الكثير من جهدها وجهد المجتمع الدولى دون جدوى[1] . وبعد أن حققت الحرب هدفها المنشود كان على القيادة المصرية ومن ورائها القيادات العربية السعى إلى دفع قضية السلام من خلال الجهود

(١) طه المجدوب – حرب أكتوبر – طريق السلام – ص ٤٩ .

السياسية استثمارا للنصر ، واتبعت مصر فى أعقاب الحرب ما يعرف بسياسة الخطوة خطوة لتحقيق السلام والتى اتبع فيها هنرى كيسنجر دبلوماسية المكوك[1] Shuttle Diplomacy بقطع رحلات سريعة مكوكية بين مصر وإسرائيل لبحث نقاط الاختلاف والاتفاق بين البلدين ، واستهلت مصر جهودها بتوقيع اتفاقية النقاط الست بين مصر وإسرائيل عند الكيلو ١٠١ فى ١١ نوفمبر ١٩٧٣ والتى كانت تركز على الالتزام بدقة بوقف إطلاق النار ، وفض الاشتباك والفصل بين القوات والعودة إلى خطوط ٢٢ أكتوبر ، حصول مدينة السويس على الإمدادات اليومية من الغذاء والماء والأدوية ، كما يتم تبادل أسرى الحرب ، ثم اتفاقية فض الاشتباك الأول بين مصر وإسرائيل فى ١٨ يناير ١٩٧٤ والذى بمقتضاه انسحبت القوات الإسرائيلية من غرب القناة وسيطرة القوات المصرية سيطرة كاملة على الضفة الشرقية للقناة ، ثم أكملت القيادة السياسية المصرية سعيها لاتخاذ خطوة مشابهة على الجبهة السورية فكانت اتفاقية فصل القوات Disengagement of Forces الاسرائيلية والسورية الموقعة فى جنيف ٣١ مايو ١٩٧٤ والتى أسفرت عن انسحاب إسرائيل من الأراضى التى احتلتها فى حرب أكتوبر كما عادت القنيطرة (عاصمة الجولان) إلى السيطرة السورية ، وخلال هذه الفترة كانت مصر تسعى بكل جهدها لتطهير قناة السويس وفتحها للملاحة الدولية قبل توقيع اتفاقية فض الاشتباك الثانى حتى كللت الجهود بافتتاح الرئيس السادات الملاحة الدولية فى قناة السويس فى ٥ يونيو ١٩٦٧ بعد غلقها ٩ أعوام ولتفتتح فى نفس اليوم التى وقعت فيه نكسة يونيو لتمحى آثار تلك الذكرى السيئة ويتحول يوم ٥ يونيو من ذكرى أليمة إلى يوم سعادة لكل المصريين وثمرة من ثمار النصر ويعود المصريون الذين تم تهجيرهم من مدن القناة مرة أخرى إلى مدنهم

(١) أشار البعض أن هنرى كيسنجر قطع حوالى ٣٠,٠٠٠ ميل لكى ينجز مهمة السلام فى الشرق الأوسط !

ودحض افتراء إسرائيل السابق بأن إعادة فتح القناة أمر مرهون بإرادتها وحدها وأن القناة فقد قيمتها ثم تم توقيع اتفاقية فض الاشتباك الثانى بين مصر وإسرائيل فى الأول من سبتمبر ١٩٧٥ تقدمت مصر بمقتضاها إلى خطوط جديدة فى سيناء وانسحاب إسرائيل من المضايق وعودة حقول البترول المصرية واستلامها

فى الطريق إلى القدس

جمود سياسى وحدث تاريخى فى إسرائيل

بعد توقيع اتفاقية فض الاشتباك الثانى بين مصر وإسرائيل والانتهاء من تنفيذه فى مارس ١٩٧٦ اتسم الموقف السياسى بالجمود وبدا أن قضية الشرق الأوسط ستعود إلى ركودها من جديد ولم يعد مجال لانتهاج سياسية الخطوة خطوة التى استنفدت أغراضها فالوضع الآن بصدد مرحلة تسوية سلمية شاملة فى الشرق الأوسط ، حيث كان عام ١٩٧٦ هو عام انتخابات الرئاسة الأمريكية مما يعنى انشغال الولايات المتحدة بالانتخابات وما يعقبها من ترتيبات الإدارة الأمريكية الجديدة ورسمها لمعالم السياسية التى ستنتهجها وملامح الدور الذى ستقوم به وتحديد أسلوب التحرك السياسى المطلوب ، كما تصاعدت أزمة الحرب الأهلية Civil War فى جنوب لبنان أسهمت فيها إسرائيل وذلك لإضعاف هذه الأطراف العربية وانشغال الأطراف العربية الأخرى كسوريا والأردن بتلك المشكلة ، واستغلال إسرائيل لهذا الوضع بغرض مماطلتها وتسويفها فى عقد «مؤتمر جنيف» الذى دعت إليه مصر عقب توقيع اتفاقية فض الاشتباك الثانية واتبعت إسرائيل سياسة المراوغة وتضييع الوقت والتسويف والمماطلة Procrastination حتى تدور القضية فى حلقة مفرغة لا تنتهى وكان السادات يعى ذلك جيدا ويعرّف أن مرور الوقت ليس فى صالح القضية ، وبدأ انفراط العقد العربى وتمزق الصف العربى كما تلاشى تأثير سلاح البترول بشكل واضح ، وتبادلت الأنظمة العربية الحملات الإعلامية وتعرضت مصر للافتراءات والشتائم من إذاعة بغداد ، وإذاعة

منظمة التحرير الفلسطينية التى تبث من القاهرة حيث اعتبروا أن اتفاقية مصر الثانية لفصل القوات خيانة للقضية العربية وتعرضت مصر للمزايدات الوطنية من إخوانها العرب تماماً كما حدث فى أحداث غزة الأخيرة التى اندلعت فى ٢٧ من دسمبر ٢٠٠٨ وكأن التاريخ يعيد نفسه وكأن العرب لم يستوعبوا بعد دروس الماضى ، إلا أن هذا لم يدفع السادات إلى هجر القضية الفلسطينية كما عزا تطرف المنظمة إلى الإحباط الذى تعانيه من جراء التعنت الإسرائيلى.

وهذا ماجعل البعض يصف علاقة مصر بالقضية الفلسطينية والعرب بعلاقة الأب المتسامح بالولد الشقى ، ولكن إلى متى سيظل الأب متسامحا والولد شقيا، أخشى أن يأتى الوقت الذى يفقد فيه الأب تسامحه ولا يفقد فيه الولد شقاوته . وإزاء هذا الوضع رأى السادات أن القضية بدأت تتآكل وأن قوة الدفع لقضية الشرق الأوسط التى أحدثتها حرب أكتوبر بدأت تتلاشى ، فرأى السادات أن الوقت ليس فى صالحه وأن عليه بتحرك فعال يبرز القضية من جديد ويجعل قضية الصراع العربى الإسرائيلى محل اهتمام العالم وكان السادات دائما مؤمنا أشد الاهتمام بأهمية التحرك فى العمل السياسى وكان له مبدؤه فى ذلك بقوله « الذى لا يتحرك يتجمد والذى يتجمد ينعزل والذى ينعزل يختنق ويموت »، فبدأ السادات بزيارة الرئيس كارتر فى أبريل ١٩٧٧ بعد توليه رئاسة الولايات المتحدة وعرض على كارتر استراتيجيته للسلام فى الشرق الأوسط وأوضح له أن المشكلة الفلسطينية هى صلب قضية الشرق الأوسط وأن سيناء والجولان – كما يقول السادات – ليست إلا أعراضًا لمرض أساسى هو المشكلة الفلسطينية وأسفرت هذه الزيارة عن عدة نتائج أهمها على الإطلاق هو اقتناع الولايات المتحدة بضرورة إقامة وطن للفلسطينيين وإشراك منظمة التحرير الفلسطينية فى مفاوضات السلام ، وتلا ذلك مباشرة حدث تاريخى هام فى إسرائيل حيث جرت انتخابات الكنيست التاسع فى ١٧ مايو ١٩٧٧ وفاز حزب الليكود اليمينى فى الانتخابات لأول مرة منذ قيام إسرائيل مزيحا بذلك

حزب العمل الذى - أسسه بن جوريون - كان ممسكا بالسلطة فى إسرائيل منذ قيامها فى ١٥ مايو ١٩٤٨، وترأس الحكومة الجديدة «مناحم بيجن» زعيم حزب حيروت وزعيم منظمة الأرجون السابقة، وكان بيجن معتقلا بواسطة الروس ثم تولى قيادة منظمة الأرجون[١] السرية بعد قدومه إلى فلسطين أثناء الحرب العالمية الثانية وبدا كخليفة لمعلمه «فلاديمير زئيف جابوتنسكى» مؤسس الحركة التصحيحية الصهيونية والتى تعتبر أصل حزب حيروت الذى تزعمه بيجن فيما بعد، و الأرجون هى المنظمة التى مارست العديد من العمليات الإرهابية من أبرزها نسف فندق الملك داود بالقدس فى يوليه ١٩٤٦، ومجزرة دير ياسين فى أبريل ١٩٤٨، واحتلال يافا وسلب ثروات أهلها العرب حتى وُصِف بيجن عبر وسائل الإعلام بأنه إرهابى عنيف، جاء بيجن على رأس الحكومة الإسرائيلية الجديدة بهذا الماضى الأسود، وبعقيدته الصهيونية العنيفة المتطرفة التى يفتخر بها[٢]، ويعلن أن الضفة الغربية وقطاع غزة جزء من أرض إسرائيل التاريخية وأنه لن يستجيب للضغوط الخاصة بإجراء تسوية فى الشرق الأوسط لا تحقق لإسرائيل أمنها وأهدافها وأنه إذا ماتمت تسوية سلمية سيضع بنفسه الشروط التى يراها من خلال المفاوضات المباشرة مع العرب، كما أعلن أن السادات ليس بالرجل الساذج وأنه عدو لدود لإسرائيل، كانت هذه التصريحات صدمة للسادات، كما مثل انتخاب

(١) هى المنظمة الإرهابية الصهيونية ((أرجون زفاى ليومى)) والتى تعنى ((المنظمة العسكرية الوطنية)) والتى أسسها ((فلاديمير جابوتنسكى)) والتى أصبحت تعرف باسمها المختصر ((إيتزيل)) المكون من الحروف الأولى لاسم المنظمة العبرية، وأطلقت هذه المنظمة على جناحها العسكرى اسم ((بيطار))، وعلى استخباراتها السرية اسم ((الفرقة السوداء))، وكان شعار المنظمة عبارة عن بندقية محمولة بيد كتب تحتها « هكذا فقط » تعبيرا عن اختيارها وسيلة العنف والإرهاب لتحقيق أهدافها.

(٢) كان بيجن يفخر فى كتابه ((التمرد – قصة الأرجون)) بمذبحة دير ياسين وتفجير فندق الملك داود الذى راح ضحيته ٢٠٠ شخص من الأبرياء حيث كان يراها أعمالا بطولية ويرى نفسه كوطنى ومناضل يهودى.

بيجن ذي الخط المتطرف صدمة للأمريكان أنفسهم خاصة وأن بيجن كان يرى أن معادلة كارتر السياسية فى الشرق الأوسط كلها سلبية ،كما توجس الغرب من تولى بيجن – الإرهابى السابق - لرئاسة الوزراء حيث مازالت أعمال منظمة الأرجون عالقة فى الأذهان ، وفى صحيفة «التايمز اللندنية» كتب لويس هيرين يقول : « إن مؤسس إسرائيل يجنى ثمار الإرهاب . الإرهاب يؤتى ثماره ويجب تشجيع عرفات ». ونتيجة لذلك اعتبر العالم أن عملية السلام فى الشرق الأوسط بدأت تدخل النفق المظلم ، وأن جهود السلام المصرية دخلت فى حلقة مفرغة وأصبح الطريق مسدودا حيال أى تقدم فى الموقف .

تجربة السجن تطير بفكر السادات إلى الكنيست !

كان على السادات أن يتعامل مع هذه الصورة القاتمة بطرح فكر وأسلوب جديد يتخطى مرحلة الشكليات والإجراءات ويجتاز الحساسيات والشكوك يدفع بالقضية ويضعها فى إطار جديد حتى لا تعود إلى مرحلة الجمود والركود وكان يحتاج وهو يواجه واقعا بالغ التعقيد كهذا طاقات نفسية وطاقات فكرية جبارة لتغييره وأنه لن يغير من هذا الواقع إلا إذا استطاع إحداث تغيير فى أفكاره ، ولا شك أن تجربة السادات فى السجن أفادته وأن ما تعلمه فى «الزنزانة ٥٤»– كما أشار فى كتابه «البحث عن الذات» – أمده بقوة جديدة وطاقة جبارة على التغيير وضبط النفس ، والحقيقة لم يكن ما تعلمه السادات فى السجن والذى أفاده كحاكم بالتجربة الفريدة ولم تكن إشارته إلى فضل تجربة السجن له كحاكم هى الأولى من نوعها فقد كان «موسولينى» زعيم الفاشية الإيطالى يردد دائما « أن ما قضيناه من عمر فى السجون هو الذى علمنا ضبط النفس ، ونمى فينا تلك الطاقة التى نمارس بها الحكم » ، وبعد أن انتهى السادات من تفكيره ذهب إلى رومانيا ليتحدث مع زعيمها «نيكولاى شاوشيسكو» ويعرف انطباعاته عن رئيس الوزراء الجديد «مناحم بيجن» خاصة بعد أن زار بيجن رومانيا فى أغسطس ١٩٧٧ وقضى ثماني

ساعات فى اجتماع مغلق مع شاوشيسكو ، وسأله السادات هل بيجن المتعصب راغب حقيقة فى السلام ؟ وهل بيجن يملك القوة على أن ينفذ عملية السلام وقادر على تنفيذ أى اتفاق يمكن الوصول إليه ؟ وكان رد شاوشيسكو على السؤالين بالإيجاب ، ورجع السادات من رحلته وهو ينسج الملامح الأخيرة للمبادرة والتى حيكت بناءا على انطباعات شاوسيكسو عن بيجن، وكان السادات يثق فى حكم شاوسيسكو وتقديره خاصة أن علاقته بإسرائيل جيدة ووصل السادات بتفكيره إلى أن المواجهة المباشرة والخط المستقيم هما أقرب الطرق وأنجحها للوصول إلى الهدف الواضح فلماذا إذا يدور فى دوائر لكى يصل إلى هدفه ، فهدفه واضح وهو السلام وهو لا يتحقق إلا باللقاء المباشر بين أطراف النزاع كما أنه يريد أن يثبت للعالم أن رجل سلام حقيقى وأن مساعيه للسلام ليست مناورة كما يعتقد البعض ، فلماذا لا يذهب إلى الكنيست Knesset ويخاطب الشعب الإسرائيلى مباشرة ويضع أمام العالم بأسره المشكلة بكل أبعادها وهكذا تبلورت صورة المبادرة التى اختمرت فى عقل السادات بعد تفكير عميق ، و على طريقة قرارات السادات المفاجئة كما يحبها وبطريقة الصدمات الكهربائية كما يصفها ألقى السادات بهذه القنبلة السياسية فى التاسع من نوفمبر عام ١٩٧٧ فى مجلس الشعب حين وقف يعلن : « إننى مستعد أن أسافر إلى آخر هذا العالم إذا كان فى هذا ما يحمى أن يجرح لا أن يقتل عسكرى أو ضابط من أولادى . وستدهش إسرائيل حينما تسمعنى الآن أقول أمامكم : أننى مستعد أن أذهب إلى بيتهم إلى الكنيست ذاته ومناقشتهم ؛ ولأننا أيضاً لا نخشى المجابهة مع إسرائيل» ، ودوت قاعة مجلس الشعب بالتصفيق بما فيهم ياسر عرفات الذى كان حاضرا تقديرا لشجاعته على قول هذا التصريح الذى اعتبروه لا يعدو مجرد حماسة من السادات أو مبالغة خطابية أراد أن يثبت به نيته للسلام وليس أدل على ذلك من أن وزير الخارجية فى ذلك الوقت – السيد إسماعيل فهمى – طلب من الصحف حذف هذه العبارة من خطاب الرئيس مما أثار غضب السادات وأصدر

تعليماته بإبراز هذه العبارة فى الصحف ، واعتبر العالم إعلان السادات استعداده للذهاب إلى الكنيست ليس أكثر من مناورة كلامية للاستهلاك أمام الرأي العام العالمي أو أنها مجرد زلة لسان أو محاولة للدعاية العالمية .

رحلة القرن العشرين

بالطبع لم يكن أحدا يصدق أن رئيس أكبر دولة عربية يمكن أن يطأ بقدمه عقر دار عدوه بعد حروب دامية بينهما استمرت لثلاثين عاما ! وبات الجميع يسأل هل يعنى السادات حقا ما يقوله ؟! ولم يصدق بيجن نفسه وبعث برسالة عبر مبعوث أمريكى فى ١٥ نوفمبر وجه فيها دعوة رسمية[1] للرئيس السادات لزيارة القدس ، وفى ١٧ نوفمبر ١٩٧٧ توجه الرئيس السادات إلى الرئيس «حافظ الأسد» في دمشق لمحاولة إقناعه بمبادرته ، وقال السادات له : « لو ثبت أن هذه آخر مهمة أقوم بها كرئيس جمهورية فسوف أقوم بها وأعود لأقدم استقالتى إلى مجلس الشعب فى مصر كما ينص الدستور أما أنا فمقتنع مائة فى المائة بإتمام هذه المبادرة » إلى أن الرئيس حافظ الأسد لم يقتنع بكلام السادات ورفض أن يسمح للسادات أن يتحدث باسم سورية ، وأصر السادات على مواصلة طريقه وأن يتحمل وحده المسئولية كاملة حتى لا يحرج الآخريين ، كان السادات مؤمنا بما يفعله فلم يفكر فى أى شىء إلا فى كيفية حل قضيته واسترجاع الأراضى العربية، وتحقيق السلام العادل ، لم يفكر فيما سيكون مصيره فربما يكون المقابل هو حياته فمن الممكن أن يغتال فى شوارع القدس كما حدث قبل ذلك مع «الكونت برنادوت»[2] أو الملك الأردنى عبد الله الأول هل

(١) كان الرئيس السادات قد أوضح فى حديثه لكرونكايت مذيع التليفزيون الأمريكى المشهور أنه لابد من استلامه لدعوه مكتوبة حتى يتخذ قراره بالذهاب إلى القدس والكنيست الإسرائيلى .

(٢) اغتيل الكونت السويدى فولك برنادوت الوسيط الدولى الذى عينته الأمم المتحدة لحل النزاع العربى الإسرائيلى فى ١٧ سبتمبر عام ١٩١٤ وذلك بواسطة بعض المنظمات الإرهابية الصهيونية الرافضة لمنطق السلام .

يذهب إلى عقر دار عدوه بعد أن أنزل به هزيمة قاسية وحطم غروره وكسر شوكته ؟! لم يفكر السادات فى كل ذلك وذهب إلى القدس، وسط دهشة واستغراب الجميع واحتشد الملايين من المصريين أمام شاشات التليفزيون مشدودين يتابعون بدهشة وانبهار رئيسهم وهو ينزل بثبات وثقة من على سلالم طائرته إلى مطار بن جوريون بالقدس وألقى خطابه الشهير في الكنيست الإسرائيلي في ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧، والذى أوضح فيه الحقائق التالية :

- إنه لا سعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين .

- إنني لم أتحدث ولن أتحدث بلغتين ، ولم أتعامل ولن أتعامل بسياستين ، ولست أتعامل مع أحد إلا بلغة واحدة، وسياسة واحدة، ووجه واحد.

- إن المواجهة المباشرة والخط المستقيم هما أقرب الطرق وأنجحها للوصول إلى الهدف الواضح.

- إن دعوة السلام الدائم العادل المبني على احترام قرارات الأمم المتحدة أصبحت اليوم دعوة العالم كله، وأصبحت تعبيراً واضحاً عن إرادة المجتمع الدولي سواء في العواصم الرسمية التي تصنع السياسة وتتخذ القرار، أو على مستوى الرأي العام العالمي الشعبي، ذلك الرأي العام الذي يؤثر في صنع السياسة واتخاذ القرار.

- إن الأمة العربية لا تتحرك في سعيها من أجل السلام الدائم ، العادل ، من موقع ضعف أو اهتزاز ، بل إنها على العكس تماماً ، تملك من مقومات القوة والاستقرار ما يجعل كلمتها نابعة من إرادة صادقة نحو السلام ، صادرة عن إدراك حضاري أنه لكي نتجنب كارثة محقَّقة، علينا وعليكم وعلى العالم كله، فإنه لا بديل من إقرار سلام دائم ، وعادل ، لا تزعزعه الأنواء ، ولا تعبث به الشكوك ، ولا يهزه سوء المقاصد أو التواء النوايا .

كما حذر الرئيس إسرائيل بشدة من سوء الفهم لمبادرته كما أوضح لهم أسس

مبادرته كالتالى :

١. إنني لم أجئ إليكم لكي أعقد اتفاقاً منفرداً بين مصر وإسرائيل. ليس هذا وارداً في سياسة مصر . فليست المشكلة هي مصر وإسرائيل. وأي سلام منفرد بين مصر وإسرائيل، أو بين أية دولة من دول المواجهة وإسرائيل ، فإنه لن يقِيم السلام الدائم، العادل، في المنطقة كلها .بل أكثر من ذلك، فإنه حتى لو تحقق السلام بين دول المواجهة كلها وإسرائيل، بغير حل عادل للمشكلة الفلسطينية، فإن ذلك لن يحقق أبداً السلام الدائم ، العادل ، الذي يلح العالم كله اليوم عليه .

٢. إنني لم أجىء إليكم لكي أسعى إلى سلام جزئي، بمعنى أن ننهي حالة الحرب في هذه المرحلة، ثم نرجئ المشكلة برمّتها إلى مرحلة تالية. فليس هذا هو الحل الجذري، الذي يصل بنا إلى السلام الدائم ، وإنما جئت من أجل السلام العادل الشامل لجميع الأطراف وأولهم القضية الفلسطينية باعتبارها جوهر المشكلة كلها .

٣. إن أرضنا لا تقبل المساومة ، وليست عرضة للجدل .

٤. إن عليكم أن تستوعبوا جيداً دروس المواجهة بيننا وبينكم ، فلن يجديكم التوسع شيئاً .

٥. إنني لم أجىء إليكم تحت هذه القبة ، لكي أتقدم برجاء أن تُجلوا قواتكم من الأرض المحتلة. إن الانسحاب الكامل من الأرض المحتلة بعد ١٩٦٧، أمر بديهي، لا نقبل فيه الجدل، ولا رجاء فيه لأحد أو من أحد. (قال السادات هذه الجملة بقوة وثقة بالغة حتى أن جوزيف فينكليستون الصحفى اليهودى المخضرم ذكر فى كتابه «السادات وهم التحدى » أن عيزرا وايزمان وزير الدفاع الإسرائيلى عندما سمع هذه الكلمات أشار إلى بيجن بأنه « يجب أن نستعد للحرب وأومأ بيجن »)[1] .

(١) كان هذا جانب من سوء الفهم والشك الذى أصاب الإسرائيليين من مغزى السادات من الزيارة حيث انزعج بعضهم من أن تكون هذه الزيارة هى خطة خادعة ومناورة أخرى من السادات=

ثم طرح السادات فى النهاية اتفاق سلام يقوم على :

أولاً : إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية ، التي احتلت في عام ١٩٦٧ .

ثانياً : تحقيق الحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني ، وحقّه في تقرير المصير ، بما في ذلك حقّه في إقامة دولته .

ثالثاً : حق كل دول المنطقة في العيش في سلام داخل حدودها الآمنة ، والمضمونة عن طريق إجراءات يُتفق عليها، تحقق الأمن المناسب للحدود الدولية، بالإضافة إلى الضمانات الدولية المناسبة .

رابعاً : تلتزم كل دول المنطقة بإدارة العلاقات فيما بينها، طبقاً لأهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة، وبصفة خاصة عدم الالتجاء إلى القوة، وحل الخلافات بينها بالوسائل السلمية .

خامساً : إنهاء حالة الحرب القائمة في المنطقة . وبعد ختام الرئيس من خطبته دوت قاعة الكنيست بالتصفيق الحاد[1] .

تقييم مبادرة السادات :

حاول كثيرون تجريد مبادرة السادات من تأثيرها السياسى والدبلوماسى واعتبرها البعض – كالأستاذ هيكل – خطوة درامية على المسرح السياسى أشعبت غريزة التمثيل فى السادات وأظهرته كنجما لامعا أمام عدسات التليفزيون كما اعتبرها العرب خيانة قومية عظمى !

=لتضليلهم كما حدث فى حرب ١٩٧٣ حتى أن بعضهم رأى أن طائرة السادات ستحمل كوماندوز مصريين سوف تغتال كل الشخصيات الإسرائيلية الرفيعة بمجرد هبوط الطائرة وبالفعل تم عمل ترتيبات أمنية كرد فعل لهذا التصور ! .

(١) يقال إن التصفيق غير مسموح به تقليديا فى الكنيست الإسرائيلى ولكن سمح به استثناء بمناسبة زيارة الرئيس السادات وذلك فى الاجتماعات التى تمت لترتيب بروتوكول هذه الزيارة .

ولتقييم الموقف كاملاً منذ إعلان السادات مبادرته للذهاب إلى الكنيست إلى ذهابه للقدس وخطابه فى الكنيست تستدعينا الأسئلة التالية :

ما هو مغزى السادات من إعلانه استعداده (هو) للذهاب إلى الكنيست ولم يدع بيجن إلى زيارة القاهرة من أجل إحياء السلام ؟ ، وهل حققت زيارة السادات نتائجها التى ينشدها ؟ وقبل ذلك هل هو اتخذ من الإجراءات فى زيارته ما يضمن لها النجاح ؟ سنذكر ذلك جملة وتفصيلاً فى النقاط التالية :

- إن مغزى السادات من إعلان مبادرته للسلام وضعت بيجن فى مأزق أو كما قال الرئيس السادات لزوجته السيدة جيهان كما تروى « لقد وضعت بيجن فى زاوية corner ..فى ركن زنقته بالضبط ، إما أن يرد بالموافقة أن أذهب ويرحب بذلك ، وإما إذا لم يرحب فسوف يكون أمام العالم أضعه أنه رجل لايريد السلام . » .

- إن مغزى ذهاب السادات بنفسه إلى القدس وعدم استدعاء بيجن تتيح للسادات مكاسب هائلة تحسب له حيث سيتأكد العالم من نية السادات للسلام وسيشكل ضغطا دوليا International Pressure على إسرائيل وعلى بيجن بالرد بخطوة مماثلة ردا على هذه الزيارة وبالتالى فإن السادات سيكون له الفعل Action وعلى بيجن رد الفعل Reaction ومواجهة النتائج وقد أوضح السادات ذلك بقوله للصحفيين المرافقين له فى رحلته للقدس « إذا لم يتبين الإسرائيليون حقائق النصر فى المنطقة فعليهم مواجهة النتائج ... » وهو ما عبرت عنه بعد ذلك جريدة «الجيروليزم» الإسرائيلية بقولها « إن نقطة القوة فى موقف الرئيس السادات هى والآثار التى تركتها زيارته للقدس » وعلى ذلك فقد كسب السادات العديد من النقاط فى هذه الخطوة وأصبح كل العالم يؤيده ويصدقه ، ولو كان استدعى السادات بيجن إلى مصر لأحرز بيجن كل هذه المكاسب على حساب السادات أى كان بيجن سيكسب ما هدف السادات إلى كسبه باعتباره مبادرا

للسلام ، وكان السادات يقول: أنه لو كان فى مكان بيجن ما قبل هذه الزيارة، وأن بيجن ارتكب خطأ عمره بقبولها ؛ لأن الشارع الإسرائيلى هو الذى يحكم ولن يستطيع بيجن الوقوف أمام رغبتهم فى السلام.

- كانت الزيارة تشكل نوعًا من الضغط المباشر على إسرائيل وتشكل فى نفس الوقت ضغطا على الولايات المتحدة أو تشجيعا لها على الضغط على إسرائيل بعدما استنتج السادات من رسائل كارتر قبل الزيارة أن الولايات المتحدة عمداً أو مرغمة لا تمارس أى ضغط جدى على إسرائيل .

- استفاد الإعلام الصهيونى بذكاء من صيحات العرب المتكررة بالقضاء على إسرائيل وإلقائها فى البحر فى ملء عقول العالم بأن العرب برابرة ووحوش ضارية يريدون إلقاءها فى البحر واستقطبوا تعاطف العالم وتأييدهم ووجدت إسرائيل العباءة التى تتستر بها لطرح نظرية الأمن التى كانت تصورها كدولة توسعية ، فأصبحت تمارس نظرية الأمن بكل ما تشمله من أعمال عدوانية وتوسعية تحت شعار إسرائيل التى تكافح من أجل العيش والبقاء وبدعوى الدفاع عن نفسها وسط البرابرة العرب الذين لا يكفون عن تهديدها بالفناء وأكسبت لنفسها شرعية لذلك من دول العالم حيث أن أى هجوم إسرائيلى على العرب إنما هو لتحاشى عدوان عربى «مقبل» على إسرائيل تنفيذا لقاعدة «الهجوم هو خير وسيلة للدفاع» ، وبزيارة السادات التاريخية للقدس تحطمت كل الدعاوى الصهيونية من أن العرب برابرة لا يريدون السلام ولا يسعون لتحقيقه، واستطاع السادات الفصل بين أمن إسرائيل والاستيلاء على الأراضى العربية.

- أسكتت زيارة السادات للقدس ومخاطبته الشعب الإسرائيلى حول السلام النغمة التى كانت إسرائيل ترددها دائماً بأن العرب ليس لديهم الشجاعة والثقة بالجلوس على طاولة مفاوضات واحدة مع الإسرائيليين للتفاوض بشأن الأراضى العربية التى تحتلها إسرائيل ، خاصة وأن بيجن نفسه كان يتحدى العرب بقوله :

« أيها العرب إن لديكم مشكلة معنا .. أراضيكم فى حيازتنا وأنتم لديكم حقوق تتحدثون دائما عنها وتطالبون بها ، كيف يمكنكم إذن استعادتها بدون المجىء والجلوس معنا حول مائدة التفاوض . » .

- استطاع السادات بزيارته أن يهدم الحاجز النفسى وحاجز الخوف والتوجس وخشية الخداع إزاء إسرائيل وبدأنا نرى إسرائيل وقادتها فى وضعهم وحجمهم الحقيقى وتبددت الكثير من الأوهام بعد أن دارت حولهم الأساطير والخرافات ، وأصبحت لدينا الشجاعة فى المطالبة بحقوقنا المشروعة دون خوف أو تراجع خشية الخداع ؛ حيث كنا نعزى كل شئ خادع وكل تخطيط ماكر وكل تدبير ذكي إلى إسرائيل وكأن الدهاء حكرًا عليهم حتى ظن العقل العربى أنه ليس بمقدوره مجابهة إسرائيل الداهية والتفاوض والمطالبة بحقوقه وأنه سيقع لا محالة فى بئر الخداع الصهيونى الذى لاينضب حتى رأينا كتابا باللغة العربية عنه انه «الدنا لعبة إسرائيل» !

- إذا نجحت المبادرة فإن مصر ستكون الجانى الأكبر للكثير من المكاسب ، أما إذا فشلت المبادرة سيحمل العالم إسرائيل المسؤولية وستخسر بالتالى تأييده ودعمه وفى المقابل سيزداد الدعم والتقدير لدور السادات ، وقد عبرت عن ذلك جريدة «الفيجارو» الفرنسية فقالت « إن مبادرة السادات تواجه فرضين لا ثالث لهما : الفرض الأول أن تنجح الزيارة وتحقق الغرض منها فيكون ذلك نجاحا سياسيا لم يسبق له مثيل ولسوف تترتب عليه آثار عظيمة فى حياة مصر فتقوى وتعالج مشاكلها وتقف على قدميها فى جو من التقدم والرخاء . والفرض الثانى أن تفشل المبادرة ، وفى هذه الحالة تقع المسؤولية على إسرائيل وتخسر دوليا بقدر ما يكسب السادات داخل بلاده وخارجها من الاحترام والتأييد . » .

- بددت الزيارة الغشاوة والضباب الذى اكتنف القضية العربية جراء

التزييف والخداع الإسرائيلى لمعالم القضية ، وأصبحت حقائق القضية معروفة جيدا عند الرأى العام دون تزييف .

- فى إجراء ذكى لا يقوم به إلا داهية سياسى كالسادات ، اصطحب السادات معه فى الزيارة «مصطفى كامل مراد» زعيم المعارضة للرد على دعاوى إسرائيل من أن مصر أو البلاد العربية دول شمولية لا مكان فيها للرأى الآخر .

- لم تلزم الزيارة أى طرف عربى بالقيام بشىء لا يناسب قضيته كما لم يحدث تفريط فى أى حق عربى وخاصة الحق الفلسطينى .

- إن صلاة السادات رئيس أكبر دولة عربية العيد فى المسجد الأقصى قبل توجهه إلى الكنيست له دلالة هامة أن القدس عامة والمسجد الأقصى خاصة حق أصيل للمسلمين ويحظى باهتمام سائر العرب .

- كان ما فعله السادات يعتبر شيئًا جديدًا فى عالم السياسية والدبلوماسية وفى العلاقات الدولية وواقعة جديدة فى التاريخ الحديث ، حتى أطلق البعض على خطوة السادات «ثورة دبلوماسية» ، حيث ذهب ليخاطب عدوه فى عقر داره وقابله عدوه بهذه الحفاوة وأخذ يعرض قضيته بكل شجاعة .

وبعد هذا التقييم السريع المتواضع لأهداف ونتائج الزيارة ، لا شك أن أى منصف سيدرك أن الزيارة أحدثت انقلابا سياسيا غير الأوضاع فى الشرق الأوسط وطرح القضية العربية بصورة أفضل وبمكاسب متوقعة للعرب لو ساروا على نهجها خاصة وأن الزيارة أظهرت العرب فى ثوب جديد أمام العالم بعد أن حطم السادات كل الدعاوى الصهيونية ضد العرب ولعل أفضل تعبير عن نتائج الزيارة ما كتبه «محمد رشاد» مندوب جريدة التعاون السياسى – فى ذلك الوقت – بقوله : « إن ما شيدته إسرائيل من دعاية مركزة خلال ثلاثين عاما ضد العرب حطمه السادات فى ثلاثين ساعة ! » .

جبهة الرفض العربية ووقفة الشعب المصرى الحضارية :

كعادة العرب لم يستغلوا الفرصة السانحة أمامهم وتباينت ردود أفعالهم وتشرذمت مواقفهم إزاء مبادرة السادات ، فأيد المبادرة كل من السودان والصومال وعمان والمغرب واليمن الشمالية ، وعارض المبادرة (جبهة الرفض) كل من العراق وسوريا وليبيا والجزائر واليمن الجنوبية ومنظمة التحرير الفلسطينية (الخاسر الأكبر من هذا الرفض بعد ذلك) ، بينما أبدت بعض الدول العربية تحفظها (تحفظًا يميل إلى الرفض) إزاء المبادرة كالسعودية والأردن ولبنان والكويت وقطر والبحرين والإمارات . وعاد الصف العربى إلى التصدع من جديد ، وتكونت بدون مبرر جبهة الرفض العربية وبدأنا نسمع من جديد الشعارات الحماسية والكلمات الجوفاء والخطب الحنجرية التى اعتاد العرب عليها دون عمل يذكر لم يع العرب أن الوطنية أفعال وليست مجرد كلمات جوفاء وبدأ العرب إهالة الاتهامات على مصر دون رادع وساعد الاتحاد السوفييتى على إشعال الموقف مستهدفا إخفاق خطوات مصر السلمية والحفاظ على وجوده فى المنطقة خاصة وأنه رأى أن السادات مقتنع بأن الحل فى أيدى الأمريكان ، إن العرب يريدون جر مصر إلى حرب جديدة تضحى فيها بأبنائها وتبدد فيها طاقاتها ومواردها بينما هم ينصرفون إلى البناء والتعمير والمتاجرة بالشعارات الوطنية ، وعاد العرب يرددون من جديد شعار الفناء والموت لإسرائيل دون أى عمل يذكر من جانبهم ، وعادت لإسرائيل من جديد الحجة التى فقدتها والشرعية التى سلبت منها بالتوسع الاستيطانى فى الأراضى العربية تحت ستار تهديدات العرب بالفناء وفى إطار نظرية الأمن ، وحاول الرئيس السادات إثناء العرب على إدانة مبادرته على أساس أنه لو كللت مبادرته بالنجاح سيكون النجاح لهم جميعا وإذا فشل فإنه سيتحمل المسئولية بمفرده ، ولكن دون جدوى ، ودعا السادات العرب إلى مؤتمر فى القاهرة «مؤتمر مينا هاوس» يكون مؤتمر تحضيرى لمؤتمر جينيف للسلام على أن يكون هذا المؤتمر فى ١٤ ديسمبر

١٩٧٧ ودعا السادات الفلسطينيين للتفاوض وجها لوجه مع الإسرائيليين وأعطى لهم حق الفيتو أى الاعتراض على أى أمر لا يناسبهم أو الاعتراض على طريقة المفاوضات وأنه لا تنازل عن حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة ، ويقول سيد مرعى أن السادات قال له « أنا لما دعيتهم ولهم حق الفيتو قلت يارب يقلبون الترابيزة على اللى فيها .. فأنا معاهم واحنا جنبهم » ولكن للأسف عقد العرب مؤتمرا فى طرابلس فى أوائل ديسمبر تحت رعاية موسكو وجاء ردا على مؤتمر القاهرة وأعلنوا رفضهم وانتقدوا بشدة قرارات مصر بشأن زيارة القدس ، وشنت أجهزة الإعلام العربية حملة ضارية على مصر ، وأعطت العرب كعاداتهم الفرصة لإسرائيل لأن تتذرع بأنها كانت تريد حضور دول النزاع للتفاوض المباشر معها وأن غياب هذه الدول سيعرقل عملية السلام حيث أعلن الياهو بن اليسار رئيس الوفد الإسرائيلى : « أن البلاد التى يهمها الأمر هى التى ينبغى أن تتصدى لحل المشكلة لأننا لا نستطيع أن نقيم سلاما بالوكالة أو على يد آخرين .. وأن إسرائيل كانت تود حضور بقية الأطراف العربية من أجل اتفاق سلام شامل وليس إقامة سلام منفصل » وهكذا استغلت إسرائيل الفرصة على أفضل ما يكون لتظهر أنها داعية للسلام أمام العالم ولكن الأطراف العربية حالت دون اتفاق وأضاع العرب الفرصة ، وللأسف انساقت منظمة التحرير الفلسطينية وراء الرفض العربى وضيعوا على أنفسهم فرصة تاريخية بالنسبة لهم أوضح لهم المستقبل بعد ذلك أنها لن تتكرر فإن مجرد جلوس الوفد الفلسطينى والإسرائيلى وجها لوجه على طاولة المفاوضات هو فى حد ذاته اعتراف ضمنى من الإسرائيليين بمنظمة التحرير الفلسطينية وفى الوقت ذاته هو خطوة جيدة للاعتراف بالحقوق الفلسطينية المشروعة فى تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة ، وكان ياسر عرفات يرى أن الظروف لم تكن موائمة لحضور هذا المؤتمر وأنها لو حضر ما حضر الإسرائيليون ، إلا أن الإسرائيليين حضروا ولم يحضر الفلسطينيون ! فماذا استفاد

الفلسطينيون من جبهة الرفض سوى شعارات الرفض والاستنكار ؟! .

وعلى الجبهة الداخلية المصرية بهر الشعب المصرى العالم بل إنه بهر السادات نفسه بنضوجه الفكرى وكأن هذا الشعب استوعب الحضارة منذ آلاف السنين بكل ألوانها ويتوارثها جيل بعد جيل ، فبعد رجوع السادات من زيارة القدس استقبله الشعب المصرى بحفاوة بالغة وخرجت الملايين من الجماهير المصرية فى مبادرة تأييد لم يسبق لها مثيل فرحين برئيسهم معجبين بشجاعته ومقدرين لخطواته نحو السلام من أجل تحقيق الرخاء لبلادهم بعد أن طحنتها الحروب ، وكان السادات سعيدًا للغاية من تفهم شعبه له وأحس بالثقة من دعم ومساندة الشعب له ، ولكن بلا شك كانت طائفة كبيرة من المثقفين معارضين وغير راضين عن خطوة السادات .

السادات يسعى إلى تحول فى شكل الدور الأمريكى :

فى أعقاب مؤتمر مينا هاوس كان المؤتمر الثانى فى الإسماعيلية فى الفترة من ٢٥ – ٢٦ ديسمبر ١٩٧٧ وحدثت قمة ثنائية بين السادات وبيجن إلا أنه ظهر تعارض بين وجهة النظر المصرية والإسرائيلية حول عملية السلام فتم الاتفاق على تكوين لجنتين إحداهما سياسية للنظر فى الإطار الشامل للتسوية ، وأخرى عسكرية لبحث النواحى العسكرية المتعلقة بالإنسحاب الإسرائيلى من سيناء ، وعقدت اللجنتان السياسية والعسكرية المصرية الإسرائيلية عدة جلسات من أجل التوصل إلى تسوية سلمية شاملة إلا أن التعقيدات الإسرائيلية طفت على سطح المفاوضات وظهرت العديد من العقبات فرضها التعنت الإسرائيلى ، وتوقفت المفاوضات وحاول السادات جذب أكبر للولايات المتحدة فى عملية السلام باعتبارها الضاغط الأكبر على إسرائيل وامتلاكها ل ٩٩ ٪ من أوراق اللعبة كما كان يعلن السادات دائما ونجح السادات فى انتزاع اعتراف جيمى كاتر رئيس الولايات المتحدة بأهمية حل المشكلة الفلسطينية وبالفعل صدر البيان الأمريكى الذى ألقاه كارتر فى أسوان

«صيغة أسوان» والذى نص على «ضرورة إيجاد حل للمشكلة الفلسطينية بكل جوانبها، والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وحقه فى تقرير مصيره»، وإزاء التحول الذى أحدثه السادات فى دور السياسية الأمريكية من كونها «وسيط» إلى «شريك» فى عملية السلام، دعا كارتر إلى مؤتمر يعقد فى قلعة ليدز بانجلترا من أجل استئناف المفاوضات والتغلب على المصاعب السابقة، وبدأت المفاوضات فى قلعة ليدز فى الفترة من ١٨-١٩ يوليه ١٩٧٨، وعرضت مصر مطالبها بضرورة انسحاب إسرائيل من جميع الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ بما فيها القدس الشرقية من أجل التوصل إلى عقد معاهدة سلام مع إسرائيل، ولكن المؤتمر لم يتوصل إلى نتائج حاسمة، وكان السادات لا يعول على مؤتمر لندن كثيرا ولكنه كان يرى أهمية التدخل الفعال الأمريكى فى المفاوضات إيمانا منه بأن أمريكا لن تسمح بفشل مفاوضات تقوم فيها بدور الشريك الرسمى، وبالفعل كان مؤتمر لندن هو مفتاح الطريق إلى كامب ديفيد حيث قام كارتر بمبادرة شخصية دعا كل من بيجن والسادات للاجتماع فى كامب ديفيد.

فى الطريق إلى كامب ديفيد:

٩٩٪ من أوراق اللعبة فى يد أمريكا.. لماذا..!

كان السادات يعلن دائما أن ٩٩٪ من أوراق اللعبة فى قضية الشرق الأوسط فى يد الولايات المتحدة الأمريكية، وكان هذا التصريح الغريب دائما من جانب السادات يستفز الكثيرين ويثير سخطهم عليه حيث رأوا أن السادات بهذا التصريح سلب الإرادة المصرية والعربية بوضع جميع أوراق اللعبة مع أمريكا، ووضع كل مفاتيح القضية فى يديها، ولكن كان للسادات حسابات أخرى حيث فسر تصريحه بأن ٩٩٪ من أوراق اللعبة فى يد الولايات المتحدة أنه يقصد أنه بسبب أن إسرائيل تعتمد فى حياتها اعتمادا كليا على أمريكا ابتداء من رغيف الخبز حتى الفانتوم فإن ٩٩٪ من «قوة الضغط» على إسرائيل أو أوراق اللعبة هى فى أيدى الأمريكيين، كما

فسر البعض تصريح السادات بأن الولايات المتحدة الأمريكية كانت قد أبدت قلقها إزاء احتمال استغناء مصر عن دورها بعد زيارة السادات للقدس وفتح باب الحوار المباشر مع قادة إسرائيل، مما دعا الرئيس السادات إلى طمأنة الولايات المتحدة الأمريكية بهذا التصريح . كما أن السادات أراد ممارسة الضغوط على الإدارة الأمريكية بهذا التصريح حيث وضع أمام العالم كل أوراق اللعبة فى يد الأمريكان لدفع الأمريكان وتشجيعهم على ممارسة دور أكثر إيجابية نحو قضية الشرق الأوسط بعد أن حملهم السادات أمام العالم العبء الأكبر لإنجاح عملية السلام وأن فشل التوصل إلى اتفاق سلام سيعتبر فشل للإدارة الأمريكية ذاتها التى تريد بلا شك لعب الدور الأكبر كما يسعى كارتر لإحراز نصر سياسى سيفيده بلا شك فى تزايد شعبيته ومساعدته فى الانتخابات القادمة خاصة وأن كارتر كان يبدو ضعيفا للشعب الأمريكى ولم تكن سمعته السياسية بحال جيد ، ولا شك أن السادات وجه كل طاقاته لكسب ثقة الأمريكيين بعد أن استغنى عن الدور السوفييتى تماماً، وسخر كل جهوده لمحاولة جعل الأمريكان يمارسون دوراً أقرب إلى الحيادية Neutrality فى أى مفاوضات قادمة بينه وبين إسرائيل وهذا يتطلب التأثير على الشعب الأمريكى نفسه وكسب تعاطفه مع القضية العربية والتأثير على القوى الصهيونية فى الولايات المتحدة المؤثرة على القرار الأمريكى وبالفعل لعب السادات كثيرا حول هذه النقطة ومن خلال زياراته المتكررة للولايات المتحدة الأمريكية وخلال أحاديثه المختلفة فى التليفزيون الأمريكى استطاع السادات بلبقاته وبلاغته وبالكاريزما الغريبة التى يتمتع بها أن يؤثر على الشعب الأمريكى بشدة لدرجة أن كارتر قال للسادات : إن الشعب الأمريكى أصبح ينتظر أحاديثه فى التليفزيون الأمريكى ويتابعها بشغف واهتمام أكثر من أحاديث الرئيس الأمريكى نفسه وداعب كارتر السادات بأن السادات لو رشح نفسه فى الانتخابات الأمريكية أمامه لفاز بها ، وكان قد حدث استفتاء فى أمريكا يطلب من الشعب الأمريكى

اختيار رئيس لهم من خارج الولايات المتحدة، وجاءت النتيجة الغريبة باختيار الشعب الأمريكى لشخصية عربية وهو السادات ، بالفعل لقد سحر السادات بكاريزميته الشعب الأمريكى إلى حد أن قال أحد نواب الكونجرس الأمريكى – فى مبالغة غير مقبولة – فى حفل عشاء للسادات ومرافقيه « يوم أن خلق الله أنور السادات تفرغ له لأنه لم يكن من الممكن أن يخلق أحدا بجانبه » !! وبالطبع صدر الأمر بعدم نشر هذا التصريح فى الصحف المصرية لأنه ينافى ديننا الإسلامى ، ورغم المبالغة الشديدة فى هذا التصريح ومنافرته لديننا الحنيف إلا أنه يوضح بقوة كيف استطاع السادات أن يؤثر فى الشعب الأمريكى كما استطاع من قبل أن يؤثر فى كارتر وجعله يأخذ موقفا أكثر إيجابية إزاء القضية الفلسطينية ، بات من الواضح الآن لماذا وضع السادات ٩٩٪ من أوراق اللعبة فى يد أمريكا فقد رأى السادات أن التوجه إلى المعسكر الغربى متمثلا فى الولايات المتحدة فى هذه المرحلة سيكون فى مصلحة بلاده والقضية العربية، وأنه لم يعد من المجدى الاعتماد على الاتحاد السوفييتى زعيم المعسكر الشرقى بعد أن رأى السادات أنه استنفذ دوره ووهنت قوته فى الشرق الأوسط وتوقع انهياره ولم يعد مستقبلنا بمأمن معه وهو التوقع الذى أثبتت الأيام صحته وسبق السادات به الجميع ، وقد عاب البعض التحولات المختلفة فى السياسة الساداتية سواء محليا أو دوليا وأنه ليس هناك مبدأ سياسى ثابت أو وضع بعينه تستقر عليه إلا أن هذا المؤاخذة على السياسة الساداتية لم تكن فى محلها بالنسبة لرجل يمارس السياسة كالسادات ، فلا توجد عقائد سياسية مقدسة ولا يجوز تغييرها بل هى مجرد أنماط للإصلاح والتقدم قابلة للتعديل والتغيير مادام ذلك من رأى رجل الدولة يحقق صالح الأمة ، فمثلا كان السادات قبل حرب أكتوبر يرى أن مصلحة بلاده تستوجب الاعتماد على الاتحاد السوفييتى باعتباره حليفا هاماً لنا ومصدر تسليحنا الوحيد، وأبرم معه معاهدة صداقة ثم رأى السادات بعد ذلك تصفيتهم قبيل الحرب ثم الاستغناء عن دورهم بعد ذلك وفى المقابل لم يكن تحالف السوفيت مع مصر سوى ترجمة للسياسة التى تحكمها المصالح

بشكل كبير فقد كان هو الآخر بتحالفه مع أكبر دولة عربية يعزز نفوذه ومصالحه فى الشرق الأوسط إذن فالرابط المشترك هو المصلحة العليا لكل بلد ولذا لم يتوان السادات فى استبعاد الورقة السوفييتية فى مرحلة معينة حينما أيقن بأهمية الورقة الأمريكية فى هذه المرحلة ، وقد اتُهم قبل ذلك الزعيم الألمانى «بسمارك» بأنه لا يستقر على وضع بعينه أو مبدأ معين فقال: « لو قيدت نفسى بالمبادئ دائماً لوجدت نفسى يوما كرجل يتعين عليه اجتياز غابة كثيفة وهو يحمل شجرة ضخمة ، فيتوقف ويتعذر عليه أن يخطو خطوة واحدة إلى الأمام »[1] .

مفاوضات كامب ديفيد بين تشدد بيجن وورقة السادات وإدانة العرب

فى أعقاب مؤتمر قلعة ليدز ، عادت السياسة الإسرائيلية إلى المراوغة والتعنت ، وواصلت بناء المستعمرات فى الأراضى المحتلة ، ووضعت المعوقات نحو أى تسوية سلمية Peaceful Settlement ، وللتغلب على هذه الأزمة بدأت الورقة الأمريكية تقوم بدورها، ووجهت القيادة السياسية الأمريكية الدعوة لعقد مؤتمر قمة ثلاثية فى كامب ديفيد Camp David يحضره السادات وبيجن وكارتر من أجل التوصل إلى تسوية سلمية شاملة ووافقت مصر وإسرائيل على الاقتراح الأمريكى فى ظل التزام الولايات المتحدة الأمريكية بتحقيق التسوية العادلة منذ زيارة الرئيس السادات للولايات المتحدة فى فبراير ١٩٨٧ ، وكان السادات يعى جيداً أنه مقبل على مفاوضات شرسة مع الجانب الإسرائيلى فى ظل ظروف إقليمية صعبة فمن ناحية كان السادات يواجه التعنت الإسرائيلى برئاسة بيجن الذى كان متطرفا Extremist وذا عقلية متشددة لا تلين بسهولة خاصة فيما يتعلق بالأراضى العربية المحتلة وبالأخص القدس والمستوطنات اليهودية فى سيناء والضفة الغربية ، وتصريحات بيجن النابعة من أيديولوجيته المتشددة دليل قاطع على تشدده حتى فى

(١) محمد على الغتيت – الزعيم العبقرية والزعامة السياسية .

الشكليات والمسميات فقد صرح قبل ذلك – كان ذلك عقب توليه رئاسة الوزراء – فيما يخص الأراضي العربية المحتلة قائلاً « إن هذه ليست أراضي محتلة لقد استخدمتم هذا التعبير لمدة عشر سنوات ولكن منذ مايو سنة ١٩٧٧ آمل أن تبدءوا في استخدام كلمة الأراضي المحررة . إن لكل يهودي الحق في الاستيطان في هذه الأراضي المحررة من الأرض اليهودية » ! ، وعندما سأله أحد الصحفيين : هل سيطبق القانون الإسرائيلي في الضفة الغربية ؟

نهره بيجن قائلاً : « قل يهودا وسمرا (الاسم العبري للضفة الغربية) . استخدم هذا الاسم دائما » ، حتى أن بيجن بعد ذلك في مفاوضات كامب ديفيد كان دائما يرتل فيما يتعلق بمسألة القدس المزمور « فلتنسني يميني إن أنا نسيتك يا أورشليم » وكان يقول لكارتر « أفضل أن أفقد يميني على أن أوقع بها وثيقة كهذه ! » ؛ لذا كان التفاوض مع شخص مثل بيجن يعني أن يغير من مفاهيمه التي كانت جزءا من أيديولوجيته .

ومن ناحية أخرى وإلى جانب تعصب بيجن كان السادات يواجه عاصفة من الغضب العربي والانتقادات العربية للمفاوضات المصرية الإسرائيلية إلى جانب انتقاد الاتحاد السوفييتي للسياسة المصرية في الشرق الأوسط وسعيها من وجهة نظره إلى حلول منفرده دون مكاسب ، ورغم كل هذه الظروف كان السادات يثق حقا أو باطلاً في الورقة الأمريكية التي سيستخدمها جيدا في المفاوضات، فكان السادات حريصا أشد الحرص على إنجاح هذه المفاوضات حيث كان يعتبرها فرصة تاريخية ومن الصعب تكرارها بنفس المستوى، وبنفس الأهمية خاصة وأن قوى عظمى كالولايات المتحدة تقوم بدور الشريك في المفاوضات وتسعى لإنجاحها .

مع بدء محادثات كامب ديفيد في الخامس من سبتمبر ١٩٧٨ ، كان منهج السادات الثابت في مفاوضاته هو السلام الشامل الذي يحقق الانسحاب الكامل Complete Withdrawal من الأراضي العربية التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧ ، وحصول الشعب الفلسطيني على حقوقه كاملة بما في ذلك حقه في تقرير

مصيره فى مقابل إقامة علاقات طبيعية بين جميع دول المنطقة بما فيها إسرائيل داخل حدود آمنه لها معترف بها وقد شبه السادات سياسته بالمثلث ، فأشار إلى أن قاعدة المثلث تمثل المبادئ التى لا نحيد عنها أبداً وهى جلاء قوات الاحتلال عن كل الأراضى العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ وتحقيق الحقوق القومية للشعب الفلسطينى ، وهذه القاعدة هى الاستراتيجية ثابتة لا تتحرك ، أما رأس المثلث فهو التكتيك ، والوسيلة ، ورأس المثلث هذا يتحرك يمينا أو يسارا أو وسطا لتحقيق الهدف الاستراتيجى الثابت ، وخاض السادات مفاوضات شرسة مع الجانب الإسرائيلى المتعنت ولا شك أن عدم اشتراك القوى العربية ومقاطعتها للمفاوضات أضعف دور المفاوض المصرى وهو يفاوض على أراضى مصرية وعربية ، فكيف يتفاوض السادات حول مشكلات الضفة الغربية والفلسطينيين ويحلها دون مشاركة الأردن !كيف يستطيع السادات إقناع الإسرائيليين بالانسحاب من الجولان والسوريون يرفضون التفاوض معهم ! ، ماهو فى وسع السادات حينما يرد عليه بيجن وهو يفاوض دفاعا عن حق الشعب الفلسطينى قائلا : « يا سيادة الرئيس عن أى فلسطينيين تتحدث وهم يتهمونك بالخيانة لهم خارج هذه القاعة » ! ما هو موقف السادات حينما يغتال الفلسطينيون الكاتب المصرى يوسف السباعى ! ولكن كما قال الدكتور «عمرو عبد السميع» : « نحن لم نختر الحل المنفرد ولكنه فرض علينا نتيجة لمواقف جامدة ونظرة قصيرة لم تستوعب المستقبل بالطريقة الصحيحة فى ذلك الوقت » إلا أن السادات حمل الإدارة الأمريكية على تبنى دور أفضل فى إنجاح هذه المفاوضات ، وبالفعل استطاعت الولايات المتحدة أن تقترح حلولها لتضييق الفجوة بين المطالب المصرية والإسرائيلية وحل المشكلات المتعلقة ببعض الأمور الخلافية بين الجانبين وقد كان الدور الأمريكى واضحا عندما رفض بيجن إزالة المستوطنات الإسرائيلية من سيناء واعتبرها ذات أهمية قصوى لأمن إسرائيل حيث تعتبر حاجزا بين سيناء وقطاع غزة فى حين كان السادات مصمماً أشد

التصميم على عودة سيناء كاملة إلى السيادة المصرية وإزالة جميع المستوطنات الإسرائيلية من أراضيها ، فاقترحت الولايات المتحدة عرض قضية إزالة المستوطنات الإسرائيلية من سيناء على الكنيست الإسرائيلى والتصويت عليها من جانب أعضاء الكنيست حيث لابد من إزالتها من أجل توقيع اتفاق سلام مع مصر ، وصوت الكنيست على إزالة المستوطنات ، وكان الدور الأمريكى أيضا أكثر وضوحا وتفاعلا حينما رفضت إسرائيل التخلى عن المطارات العسكرية فى سيناء فتدخلت الإدارة الأمريكية واستطاعت أن تقنع وايزمان وزير الدفاع الإسرائيلى بالتنازل عن المطارات العسكرية مقابل تعهد من جانب هارولد براون وزير الدفاع الأمريكى ببناء بدائل لها بتمويل من الإدارة الأمريكية ، وهنا تتضح أهمية الورقة الأمريكية فى المفاوضات كما سبق وأعلن السادات كان هذا تأكيدًا لما كان يقصده السادات من أهمية الورقة الأمريكية وتأثيرها الكبير فى إنجاح عملية السلام وأن ٩٩٪ من أوراق اللعبة فى يد أمريكا إلا أن ذلك لم ينل من إرادة مصر وحفاظها على كيانها واستقلالية قرارها ولم يكن بيجن المتعصب ليهوديته وصيهونيته أشد تعصبا من السادات المتعصب لكرامته التى هى جزء من كرامة مصر وأنه لم ينس مكانته كحاكم أكبر دولة عربية يفاوض رئيس وزراء إسرائيلى ولذلك عندما طلب كارتر من السادات أن يبدأ الكلام فى إحدى مباحثات كامب ديفيد رفض السادات لعلو منصبه وطلب أن يبدأ بيجن بالكلام ثم بعد ذلك يعقب عليه السادات لأنه رئيس دولة أما بيجن فهو رئيس وزراء . وبعد أسبوعين من الجهود الكثيفة أمكن التوصل إلى عقد اتفاق إطار كامب ديفيد بما يتضمنه من وثيقتين الأولى الخاصة بالتسوية الشاملة فى الشرق الأوسط ، والتى تضع الأسس لعملية السلام بين إسرائيل والعرب[1] ، بما فى ذلك إيجاد حل للمشكلة الفلسطينية ، والوثيقة الثانية الخاصة

(١) كان من المفترض أن تأتى بعد ذلك معاهدات سلام مماثلة بين إسرائيل من ناحية والفلسطينيين والأردن من ناحية أخرى وكم كان من المفترض أن تنضم سوريا لجهود عملية السلام .

بإطار الاتفاق لمعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ، بهدف التوصل إلى معاهدة سلام خلال ثلاثة أشهر من تاريخ هذا الاتفاق ثم تلا ذلك توقيع مصر وإسرائيل على معاهدة السلام فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ .

الرفض العربى لكامب ديفيد :

كان لاتفاقية كامب ديفيد إيجابياتها وسلبياتها ولكنها كانت أقصى ما يمكن الوصول إليه فى ذلك الوقت وما وصل إليه السادات من نتائج وقتها لا يستطيع العرب أن يصلوا إلى نفس النتائج الآن ولو وقف العرب مع السادات يومها لكانت اتفاقية أفضل للجميع ، ولكن العرب وقتها لم تؤمن برؤية السادات ، وعارضت بشدة النتائج التى توصلت إليها جهود السلام وعُلى رأسهم منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات ورفضوا شروط المعاهدة وبعد ذلك كانوا مستعدين لقبول ظروف أسوأ فى مدريد ١٩٩١ بعدما أيقن ياسر عرفات سلامة التوجه المصرى وقال عرفات بعد ذلك لجيمى كارتر « إنك رجل سلام ، وأنت صانع سلام بين أكبر دولة عربية وإسرائيل ، وصانع كامب ديفيد » ، ثم يعلن الرئيس بشار الأسد بعد ذلك عن المفاوضات المباشرة مع إسرائيل !! ومازالت بعض الدول العربية المحتلة تندد باتفاقية كامب ديفيد وتعتبرها ضربة قاضية للقضية العربية وكأن كامب ديفيد هى السبب فى احتلال إسرائيل للأراضى العربيه المحتلة ! وأصبحت كامب ديفيد هى الحجة التى يتزعم بها العرب فى أنها سبب فى استمرار الاحتلال الإسرائيلى لأراضيهم وقد كان كل زعيم عربى فى ذلك الوقت يخدع شعبه بذلك ثم لا يلبث أن يعود إلى ظاهرة الخطب الحماسية والتصريحات العنترية والتهديد لإسرائيل بالفناء ،لاكتساب تصفيق الشعب له وذلك دون أى عمل يذكر من جانبه رغم أنه يؤمن فى قرارة نفسه بسلامة الجهود السلمية المبذولة من جانب الرئيس السادات ولكنهم لا يملكون الشجاعة لإعلان ذلك وقد لاحظ ذلك الرئيس جيمى كارتر فى أثناء مقابلاته مع القادة العرب حيث يقول فى مذكراته :

« وأدخلت فى اعتبارى للقادة العرب ، أنهم جميعا تقريبا يتحدثون بلهجتين اثنتين : فهم ، عند اللقاء بهم منفردين ، يبدون القبول بالسلام ، ولا يتوقفون عن الترحيب بالجهود المبذولة من أجله وإبداء التشجيع لها ، أما فى المحافل العامة ، فلا يجرؤ أى منهم باستثناء السادات ولا تؤاتيه الشجاعة على التسليم بأنه مستعد على مواجهة الشروع فى المفاوضات مع إسرائيل » . وبدلاً من أن يبذل العرب الجهود من أجل تحرير أراضيهم سخروا كل جهدهم للتشهير بمصر وكونوا جبهات الرفض وقطعوا علاقاتهم بها وفرضوا عليها حصارا اقتصاديا وحاولوا تعليق عضويتها فى المنظمة الأفريقية حتى أن زعيمًا إفريقيًا قال، « لو كانت هذه الدول الرافضة قد بذلت نصف الجهد الذى تبذله الآن ضد مصر فى مقاومة إسرائيل لما بقيت إسرائيل على خريطة العالم »! وتلخصت دعاواهم وانتقاداتهم فى أن كامب ديفيد ومعاهدة السلام مع إسرائيل أعطت لإسرائيل الحق فى الوجود والاعتراف بها ، وأن إسرائيل فرضت على مصر الحل المنفرد وتحييد الجبهة المصرية وعزلها عن الصراع العربى الإسرائيلى وعن المشاركة فى حله ، وأن السادات خرج عن مسار الوحدة العربية ، وسنفند تلك الدعاوى لأن كامب ديفيد أصبحت هى الشماعة التاريخية التى علقوا عليها كل الأخطاء، وأصبح السادات الابن العاق للأسرة العربية وأصبحت مصر هى المسئولة عن تمزق الصف العربى ! .

هل كانت هناك وحدة عربية شاملة ؟

إن المتابع لتاريخ محاولات الوحدة العربية منذ قيام حرب ١٩٤٨ وما قبلها منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى يجد أن العرب لم تربطهم الوحدة الكاملة حتى الآن ! ولم يحدث إجماع عربى كامل ومنسق على خوض معركة ضد إسرائيل منذ زرع إسرائيل فى منطقة الشرق الأوسط ! بل كانت هناك حروب مشتعلة بين بعض الدول العربية وتوترات دولية وإقليمية ، وتصارع وتطاحن وحروب أهلية فى بعض الدول الأخرى ، ففى حرب ١٩٤٨ عُبئت الجيوش العربية دون نظام

وتنسيق وتحت قيادات مختلفة وبأنظمة تدريب وأسلحة بدائية ، وطنطن الإعلام العربى لتعبئة المشاعر وإشعال الحماس لتحرير فلسطين دون تخطيط وتدريب دقيق لتأديب العصابات اليهودية ، فكانت الهزيمة للجيوش العربية التى لم تتجاوز الثلاثين ألفا فى مواجهة القوات الصهيونية التى زادت على ما يقرب من ستين ألفا ، وانسحبت الجيوش العربية، وتركت مواقعها مما مكن الإسرائيليون من حصار الجيش المصرى فى الفالوجة ، فكانت شر هزيمة للعرب والتى تسببت فى نكبة فلسطين التى لاتزل تعيش آثارها ، وعندما جاء الزعيم «عبد الناصر» ليرفع راية القومية العربية ويوحد العرب وظهر مشروع الجمهورية العربية المتحدة وهو مشروع الوحدة بين مصر وسوريا ، ولكن كان بروز عبد الناصر كقيادة عربية بارزة واستقطابه لبلدان المنطقة يثير حقد بعض القوى العربية التى بدأت تدير عجلة الصراع وتشعل نار الفتنة حتى تفسخت الجمهورية العربية المتحدة وانفصلت سوريا عن مصر ، واشتعلت الحرب فى اليمن ، وعقب حرب يونيه ١٩٦٧، عقد الملوك والرؤساء العرب مؤتمر قمة في الخرطوم والذى عرف بمؤتمر اللاءات الثلاثة من أجل تعاون عربى عربى إلا أنه انهار واندثرت نتائجه ، وعندما أعلن «عبد الناصر» قبوله لمبادرة روجرز انتقد بشدة واتهمه الفلسطينيون بالخيانة وزايدت الدول العربية على مصر لأنها لم تحارب وشمتوا فى الجيش المصرى ، وبعدها حدث صراع مسلح بين الجيش الأردنى والقوات الفلسطينية وانتهى بخروج الفلسطينيين من الأردن ، وحينما تولى السادات الحكم حاول جمع شعات الدول العربية وحشد كل طاقاتها نحو عمل موحد ضد إسرائيل إلا أن محاولاته فشلت ولم تحارب معه سوى سوريا، وبعد أن لاح الانتصار للجيش المصرى والسورى بدأت بعض القوات العربية فى المشاركة واستخدم سلاح البترول ، إلا أن العرب لم يكملوا توحدهم وتمزق الصف العربى بعد اتفاقية فض الاشتباك الأولى بين مصر وإسرائيل ، وتوالت الاتهامات وحملات الإساءة على مصر وظهرت بعد ذلك جبهة

الرفض التى لا تفعل شىء سوى الرفض فماذا استفاد الفلسطينيون من جبهة الرفض سوى الرفض ! وماذا فعل العرب بعد ذلك فبجانب اشتعال الحرب الأهلية اللبنانية ، العراق تحارب إيران ومن أجل وحدة أفضل تأتى بعد ذلك لتغزو الكويت ! فهل كانت مصر مسؤولة عن هذا التمزق العربى ؟! ، هل سيقضى العرب على إسرائيل بالشعارات والخطب الحماسية ، إن زئير الأسد لا يكفى لقتل الفريسة !!!!

هل أصبح الاعتراف بإسرائيل هو لب القضية

من خلال نصوص المعاهدة المصرية الإسرائيلية يرى البعض أن المعاهدة حققت لإسرائيل العديد من المزايا منها اكتسابها لشرعية الوجود فى المنطقة مع تحقيق ضمانات أمن كافية لها ، ولكن هل أصبح الاعتراف بإسرائيل هو جوهر القضية فى ذلك الوقت وهل عدم الاعتراف بها هو الذى سيحرر الأراضى العربية ؟ بالطبع لا بل إن مسألة الاعتراف بإسرائيل لم تعد تشغل بالها وهى منذ قيامها تلتزم القوى الكبرى بما فيها الاتحاد السوفييتى السابق والولايات المتحدة بضمان أمنها وحمايتها وتأكيد شرعية وجودها وتتمتع باعتراف دولي International Recognition ، وذكر الكاتب اليسارى «عبد الستار الطويلة» فى كتابه « أنور السادات الذى عرفته » أنه فى حديث تليفزيونى مع «جولدا مائير» عام ١٩٧٢ سألها المذيع : هل يمكن أن تنسحب إسرائيل من الأراضى العربية المحتلة مقابل اعتراف العرب بإسرائيل ؟

فأجابت : « مسألة الاعتراف لم تعد تهمنا ألا ترى أن ألمانيا الديمقراطية لا يعترف بها إلا عدد قليل من الدول ولكنها موجودة وقائمة .. مسألة الاعتراف بنا كانت مسألة مهمة أيام زمان ..١٩٤٨..١٩٥٦ حتى ١٩٦٧ كان ممكن أن نرد الأرض مقابل علاقات طبيعية .. أم الآن فالعرب يصرون على القضاء علينا .. » ، ألم يعن قبول العرب قرار ٢٤٢ الذى ينص على انسحاب إسرائيل من الأراضى التى احتلتها فى ٦٧ ولكن مع ضمان سيادتها واستقلالها وبحقها فى العيش فى حدود آمنة Secure Borders معترف بها اعترافا من جانب العرب بوجود إسرائيل !

كما أن الدول العربية قد ارتضت الالتجاء إلى الوسائل السلمية من خلال قبولها المشاركة فى مؤتمر جنيف الذى كان سيضم وزراء الخارجية العرب ثم بعد ذلك الرؤساء والملوك وذلك للتفاوض مع إسرائيل أليس هذا اعترافا من جانب العرب بوجود إسرائيل فكيف تتفاوض مع شخص دون الاعتراف بوجوده ! إن العرب يتبنون شعارات الفناء لإسرائيل، وهم معترفون بها ! ثم يأتى العرب بعد ذلك ليعلنوا أن مصر هى أول دولة عربية تعترف بإسرائيل ! وكأن إسرائيل أقسمت يمينا أنها لن تمارس وجودها واستيطانها إلا بعد أن تعترف مصر بها ليرتاح ضميرها وهى تمارس عدوانها على الأراضى المحتلة ! .

لقد ردد كثيرون أن بيجن بعد اختفائه من المسرح السياسى ، عاش فى عزلة تامة من الاكتئاب فهو لا يتصور كيف عادت سيناء إلى مصر وكان يردد : « أعطانا السادات ورقة .. وأعطيناه سيناء » ! تلك هى الورقة التى اعتبرها العرب الطامة الكبرى والجريمة العظمى ، وآسفا أن أصف العرب كما وصفهم الكاتب «عبد الله القصيمى» بأن « العرب ظاهرة صوتية » .

هل عزلت المعاهدة مصر عن دورها الريادى فى المنطقة ؟

فى تحليل سئمنا منه طاب للبعض أن يجعل من معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية حلا منفردا يفرض على مصر العزلة عن عالمها العربى، وتحييد جبهتها فى الصراع العربى الإسرائيلى وعزوفها عن القيام بدورها كقلب العروبة النابض وكأن استمرار احتلال سيناء كان سيساعد مصر على القيام بدورها ويواليت إسرائيل مازالت ترزح على أراضى سيناء حتى تكون السند الأقوى للعرب ! أليس من الواقعى أن تحرير جزء من الأراضى العربية هو فى صالح القضية العربية أم أن العرب يحبون الوحدة فى الاحتلال ! لو كان السادات ساير العرب وتاجر بشعارات براقة وأننا سنفنى إسرائيل لكان حال سيناء الآن كحال بقية الأراضى العربية المحتلة

كالجولان السورية أو الضفة الغربية وابتلعت المستعمرات شبه جزيرة سيناء ، أكانت مصر ستستطيع المشاركة فى تحرير الكويت من الغزو العراقى وسيناء مازالت محتلة ، أكانت مصر تستطيع القيام بدورها على أكمل وجه تجاه القضية الفلسطينية وأراضيها مازالت محتلة ! هل كان العرب يعتقدون أن مصر ستتخلى عن دورها بمجرد تحرير أراضيها ، إن قدر مصر أن تضحى من أجل القضية العربية بوجه عام والقضية الفلسطينية بشكل خاص ولا تطلب ثمنا مقابل تضحياتها ولكنها ترفض أن يكون الثمن مزايدة على وطنية قوادها وعلى عروبتها .

تطبيع العلاقات المصرية الإسرائيلية !

ظن البعض أنه بإبرام معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية سيحتضن المصريون الإسرائيليين وستكون العلاقات غاية فى الود والحرارة وتبادل وتزايد الأنشطة والصفقات فى إطار من التعاون الاقتصادى طبقا لما ورد فى المعاهدة من إلغاء المقاطعات الاقتصادية وتفعيل التعاون الاقتصادى ، ولكن الرؤية الصحيحة تؤكد استحالة تطبيع العلاقات المصرية الإسرائيلية بهذا الشكل منذ اللحظة الأولى لزيارة السادات للقدس ، فرغم الاستقبال الأسطورى للسادات من جانب الشعب الإسرائيلى ، كان استقبال بيجن فى الإسماعيلية بارداً فلم يكن هناك أعلام ولا موسيقى ولا أناشيد بل كانت كل اللافتات المعلقة تمجد مصر ورئيسه فحسب حتى أن ديان قال لبيجن « انظر ليس هناك علم واحد إسرائيلى وليس هناك لافتة ترحب بقدومنا ! » إن تأييد الشعب المصرى للسلام ينبع من أمنيته فى تحرير أرضه وتخليص وطنه من ويلات الحروب التى كلفته الكثير ولتنعم مصر بالسلام والاستقرار من أجل حياة أفضل ، إن إسرائيل لم تستطع اختراق المجتمع المصرى وتفكيك أوصاله لم تستطع أن تثنيه عن مساندة إخوانه العرب لم تستطع أن تكفه عن التضحية من أجل القضية الفلسطينية ، إن الشعب المصرى يلاحق أى بادرة توصله بالمجتمع الإسرائيلى ليقطعها يلاحق أى تبادل للمنفعة ليوقفه وخير دليل على ذلك معارضة

الشعب المصرى لتصدير الغاز لإسرائيل ، إن العلم الإسرائيلى يحرق آلاف المرات فى العديد من المظاهرات وتدوسه النعال ، نعم بيننا وبين إسرائيل سلام ولكنه سلام بارد ، لا يفرض علينا ما يقيدنا تجاه واجبنا القومى وواجبنا تجاه العروبة ولا يعزلنا عن عالمنا العربى . إن الرئيس السادات حينما وافق على تطبيع العلاقات بشكل كامل كان يبيع الوهم لإسرائيل .

سيناء كاملة وجيشنا قادر على حمايتها

عندما تأتى ذكرى تحرير سيناء فبدل من الاحتفال بالنصر تخرج علينا بعض القنوات الفضائية وبعض الكتاب بفتوى تاريخية سأمنا منها وهى أن مصر بموجب معاهدة السلام مع إسرائيل استردت سيناء غير كاملة السيادة ! كما أن حجم القوات المصرية بسيناء لا يمثل رادعًا لإسرائيل أو لا يمثل حماية أمنية لسيناء ! ولا أعرف كيف أرد على هؤلاء ، هل أرادوا تشويه تحرير سيناء عن قصد أو عن جهل فمن المؤسف أن تكون الأولى ومن المخجل أن تكون الثانية ، ففى إطار كامب ديفيد تشير الديباجة الخاصة بإطار الاتفاق لمعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل إلى «الممارسة «التامة» للسيادة المصرية حتى الحدود المعترف بها دوليا بين مصر وفلسطين تحت الانتداب ، هذا فيما يخص السيادة المصرية على سيناء ، أما بالنسبة لحجم القوات المصرية فى سيناء فتنص المعاهدة على تمركز فرقة مشاة ميكانيكية من القوات المسلحة المصرية بإجمالى ٢٢ ألف فرد ومنشآتها العسكرية وتحصيناتها الميدانية داخل منطقة تبعد قرابة ٥٠ كيلومترا شرقى خليج السويس وقناة السويس وهى منطقة المضايق خط الدفاع الرئيسى الوحيد فى سيناء ، وتتكون العناصر الرئيسية لهذه الفرقة من : ثلاثة ألوية مشاة ميكانيكية ، لواء مدرع ، سبع كتائب مدفعية ميدانية تتضمن حتى ١٢٦ قطعة مدفعية ، سبع كتائب مدفعية مضادة للطائرات ، ٢٣٠ دبابة هذا بخلاف قوات الحدود التى تصل إلى ٤٠٠٠ فرد وقوات الشرطة ، تلك هى القوات المنقوصة !!! حتى لو سايرنا هؤلاء فى وصفهم

لطبيعة القوات ، فهل أصبحت النظرية هى «نظرية الكم» إن التاريخ العسكرى لا يقر هذه النظرية تماما ولا داعى لسرد دلائل على ذلك ، كما أننا كنا قد حشدتنا كل قواتنا قبل ذلك فى سيناء فى ١٩٦٧ وكانت لدينا ترسانة عسكرية جيدة من المخازن السوفييتية وحُشدت كل قواتنا بكامل تسليحها فى سيناء ومع ذلك ضربتنا إسرائيل فى الخامس من يونيو وتقهقرت كل هذه القوات وتراجعت وانسحبت من سيناء ، فهاهى سيناء كانت مكدسة بالقوات ومع ذلك هزمنا لذلك فإن الفيصل هو حسن التخطيط والكفاءة والدقة فى التنفيذ هذا تسايراً مع الاعتقاد الخاطىء بأن القوات فى المعاهدة لا تكفى أو منقوصة . إن مجرد التحكم فى منطقة المضايق الاستراتيجية والسيطرة عليها كخط دفاعى رئيسى وحيد فى صحراء سيناء يكفل للقوات المدافعة أوضاعا استراتيجية ممتازة تحطم أى قوات عدائية مهاجمة ، ولا أعتقد أن إسرائيل التى دائما ما تسعى لاصطياد الفرص وتنجح فى استغلالها كانت سترى تلك القوات غير رادعة لها على مدار أكثر من ربع قرن منذ انسحابها من سيناء وحتى الآن دون أن تعيد الكرة وتهاجم سيناء مرة أخرى ولكن إسرائيل تعرف جيداً قوة الردع المصرية فى سيناء .إن مناورات الجيش المصرى فى سيناء خير رد على من يقولون أن سيناء منزوعة السلاح نتيجة لمفاوضات كامب ديفيد حيث شككوا في إمكانية قيام القوات المسلحة المصرية بفرض سيطرتها على سيناء في حالة نشوب حرب فعلية مع إسرائيل وزعموا أن مصر لن تستطيع تحريك كل تلك القوات الضخمة فى الفترة المطلوبة وسيكون أمراً فوضوياً إذا ما تم تنفيذه ، فكان رد الجيش المصرى بإجراء مناورات ضخمة فى سيناء استطاع خلالها أن ينقل حجمًا كبيرًا من القوات إلى وسط سيناء فى زمن قياسى وباحترافية شديدة بدايةً من المناورة بدر ٩٦ التى كانت مثار الحديث والتحليلات لفترة طويلة وأثارت ذعر نتنياهو وقتها حيث استطاع الجيش المصرى نقل ٥٠ ٪ من معداته إلى عمق سيناء في ٦ ساعات واستطاع أن يصل لحالة الاستنفار الهجومي في ١١ دقيقة فقط (يعمل القادة على

تقليل معدل الوقت المستهلك مع التدريب على حرية الحركة بسرعة فائقة من مناورة لأخرى) ! وتم إصدار العديد من الدراسات الأمريكية حول هذا الإنجاز ، وكانت المناورة تتضمن عمليات برمائية لتشكيلات عسكرية مصرية لصد هجوم إسرائيلي مفترض علي سيناء ثم القيام بهجوم مضاد والتوغل داخل إسرائيل ، ودائماً ما تثير مناورات الجيش المصرى فى عمق سيناء ذعر وقلق الإسرائيليين حيث يعتبرونها خطراً موجهاً لأمنها القومى ! كما أشارت إسرائيل عقب مناورة الجيش المصرى الأخيرة بدوى ٣ بأنها موجهة إليها وتمس أمنها القومى ! . كل هذا يظهر لنا حقيقة جلية وهى أن الجيش المصرى هو دائماً درع الوطن وسيفه ومبعث فخر الأمة وصمام أمانها ومستعد دائماً فى أى وضع وتحت أى ظرف للدفاع عن مصرنا الحبيبة ولم لا؟ وهو يمتلك خير أجناد الأرض .

حقائق يجب أن يعرفها العرب

هل تخلت مصر عن دورها منذ نشوب الصراع العربى الإسرائيلى حتى الآن ؟ هل تخلى السادات عن قضية فلسطين والأراضى العربية المحتلة فى خطابه فى الكنيست ؟ هل سعى لحل منفرد فى مفاوضات كامب ديفيد ؟ هل كان العرب سيوافقون على إعادة الدول العربية علاقاتها الدبلوماسية مع مصر إلا أنها غيرت رأيها من مبادرة السلام ؟ ألا يعنى سعى العرب الآن إلى إقامة السلام العادل الشامل هو تأكيد لرؤية السادات السليمة ؟ نعم كان للمعاهدة سيئاتها ، وربما لم يحصل السادات على كل شئ ولكنه حصل على أقصى ماكان متاحاً فى تلك الفترة .. ... فى النهاية نرجو أن يتحد القادة العرب وأن يلتفوا حول شقيقتهم الكبرى مصر وترك الخلافات العربية جانبا والعمل من أجل توحيد الجهود لتحرير الأراضى العربية المحتلة وعلى رأسها القضية الفلسطينية باعتبارها جوهر القضية ولب الصراع ، ويجب أن يدرك العرب أن صراعهم مع إسرائيل لم يعد صراعا عسكريا فحسب كما يعتقدون بل هو صراع شامل عسكرى واقتصادى وحضارى وثقافى

واجتماعى لأن زرع إسرائيل فى منطقة الشرق الأوسط بواسطة الغرب كان ولا يزال مخططا لجر الأمة الإسلامية العربية إلى النكبات والكوارث واستنزافها فى حروب طويلة الأمد مع إسرائيل حتى تنهك قواها وتهوى فى بئر الجهل والتخلف بعد أن يتم تجريف خصوبتها الثقافية والحضارية ، وتحت شعار إعرف عدوك يجب أن يعى العرب أن هناك بعداً هاماً وعاملاً أساسياً ساهم فى نجاح قيام الدولة الصهيونية وهو «التنظيم» - الذى يفتقده العرب - وليست الدعاية والإعلام الصهيونى وحده كما يظن العرب ، فالكاتب الكبير عبد العال الباقورى فى كتابه «العرب وإسرائيل وفلسطين نصف قرن من الصراع» يقول « التنظيم هو الأداة التى تحقق الهدف ، وهو قبل ذلك الوعاء الذى يتقبل الفكرة ويستوعبها ، وينقلها من المجال النظرى إلى واقع الحركة والفعل ، وعندئذ تكون الدعاية - مهما برعت - مجرد أداة للتهيئة والمساندة . صحيح أن المعركة تدور أولاً فى العقول ، وحول العقول من أجل غسلها ومسخها ، ولكن الأهم هو ما يدور فى الواقع ، هو تحويل الإقناع والاقتناع إلى عمل ، وهذا هو دور «الأداة التنظيمية» . ..... إن هذا لا يقلل من اعتماد الصهاينة للدعاية كسلاح فعال ، لكنه سلاح ثانوى ، سلاح تابع . هل كانت الدعاية الصهيونية والإسرائيلية الواسعة النطاق بعد عدوان يونية ١٩٦٧ ستجدى الصهاينة والإسرائيليين شيئا لو أن إسرائيل لم تحقق النصر الذى حققته ؟ إن انتصارها هو الذى جعل كلمتها مسموعة ومدوية .»، ومما يؤكد ما نشير إليه ما قاله «البريجادير هود» قائد الطيران الإسرائيلى عن حرب ١٩٦٧ والتخطيط الإسرائيلى لخطة الحرب فيقول : « لمدة ست عشرة سنة عشنا مع الخطة ، ونمنا مع الخطة ، وأكلنا مع الخطة ، وهكذا بلغنا درجة الإتقان » ورغم مبالغة القول ولكنه يدل بشكل واضح على عنصر التنظيم الذى نشير إليه والاستعداد الجيد للجيش الإسرائيلى وهو ما فقده العرب فى هذه الحرب وبعد هزيمة العرب ، آن لإسرائيل أن تستخدم سلاحها الآخر الدعاية فأوهمت العرب أنها قوى لا تقهر وأوهمت

العالم أنها تدافع عن نفسها ضد البرابرة العرب الذين يودون إلقاءها فى البحر! ولذا فإننا نستطيع أن نقول : إن الصهاينة استطاعوا تحقيق أهدافهم بـ«نقل أهدافهم من حيز الفكرة إلى الواقع» فلقد ساهم التنظيم بشكل مباشر فى كل مرحلة من مراحل الحركة الصهيونية إلى جانب أسلوب الحملات الدعائية التى روجتها من أجل كسب الرأى العام ؛ لذا فلزاما على هذه الأمة أن توحد مقاصدها وأن تنبذ خلافاتها ولا تختزل صراعها مع إسرائيل على الصيغة العسكرية فلابد من قوى اقتصادية عربية موحدة وتكاتف عربى موحد ومنظم فى جميع المجالات لتنهض هذه الأمة من كبوتها وتسترد عافيتها .